ميلاد اللسانيات النفسية العصبية
ومرض الحبسة اللغوي

الجمعي بولعراس

قسم اللغة العربية وآدابها ـ جامعة تبسة ـ الجزائر

إن اللسانيات علم جد واسع؛ فهو حافل بتاريخ عميق يصف رحلة التخلص من الدراسات التقليدية في مرحلة ظهور العالم اللساني "دي سوسير" الذي بنى نواته الأولى، ليتمايز هذا العلم من بقية العلوم المناوئة له بظهور مفهومه ومنهجيته الخاصة في دراسة اللغة؛ وكان من بين مواضيع اللسانيات الوصفية الدراسة التاريخية للألسنة والتنظيمية التزامنية لها.

لقد كان الجهد الكبير الذي بذله "دي سوسير" في إرساء قواعد الدراسة اللسانية بذرة لظهور مدارس لسانية مختلفة تبنت أطروحات بنوية وأخرى وظيفية إلى حد ظهور "تشومسكي" ونظريته التوليدية التحويلية، وباتساع رقعة البحث اللساني الذي تطلب دراسة اللسان في مسائله المتعلقة بالوحدات التعبيرية والتداولية والسلوكات النحوية داخل مجالات أكثر اتساعا ومنهجيات تمازج بينهما، فتشكلت بذلك لسانيات عامة تهدف إلى كشف جوانب اللغة بتحليل الأداء اللغوي إلى وحداته الأساسية، وتأسيس قوانين العلاقات الموجودة بين المباني اللغوية ومعرفة القواعد الغامضة التي تشرح مباني الاستعمال اللغوي، ثم الاهتمام بدلالة التراكيب دون الاهتمام بالسياقات النفسية والاجتماعية التي تكتسب فيها اللغة وتستخدم، وتضم كل فروع البحث اللغوي المتعلقة بالمفاهيم والنظريات والمناهج والمقارنة واللهجات والتطبيق، وموضوعه دراسة اللغة بكونها وسيلة اتصال جماعية، ولعل من أهم مجالات اللسانيات العامة ما يلي:

١- الأطالس اللغوية: إذ تحدد الظواهر الأساسية في الاختلاف اللهجي، والتنوع اللغوي، ويسجل كل ما له علاقة بالجزر اللغوية ذات الخصوصات اللغوية.

٢- اللهجات والعاميات: فيدرس اللهجة وعلاقتها باللغة الفصحى (القياسية)، والعامية وعلاقتها بالتهجين اللغوي.

٣- تهتم بالدراسات المعيارية وتستدعي التمثيل المنطقي لكل تعديل في

السلوك اللغوي، ويرتكز على النحو العلمي، ويهتم بالكفاءة اللغوية.

٤- يقوم عملها على جانب الوصف والتحليل.

وتولد من اللسانيات العامة التي تؤسس النظريات ميادين تطبيقية تجسد هذه النظريات وتفسرها أو تنظمها وفقا لحاجات الممارسة شأنه شأن العلوم الأخرى في مجلات اللسانيات التطبيقية، وكان من أنواعها ما يلي:

١- اللسانيات التربوية: التي تضم علوم تعليم اللغات وطرق تدريسها ومناهجها وعواملها ووسائلها، والتخطيط اللغوي وتدخله وتحليل الأخطاء والاختبارات... وغيرها.

٢- اللسانيات الاجتماعية: وتعنى بجغرافية اللهجات واختلافها والتنوع اللغوي، وتسجيل أنماط نماذجها وقياس مدى انتشار ظواهرها المختلفة والطبيعة الانثروبولوجية والاثنولوجية لأصحابها، والتعدد اللغوي وخصوصياته البيئية... وغيرها.

٣- اللسانيات الآلية: وتهتم بهندسة الاتصال، وبرامج الحاسب الإليكتروني وكل ما يتعلق بأيقونات العمل في نظام النوافذ في لغة الآلة، كما عنيت بالترجمة الآلية واللغات الصناعية... وغيرها.

٤- اللسانيات النفسية: واهتمت بالتحليل النفسي للاتصال ومراعاة المجالات الاجتماعية والنفسية للمشتركين في الاتصال وكذالك الخصوصيات والظروف الخاصة به، ودراسة السلوك اللغوي في ظل العمليات العقلية والانفعالية واكتشاف قوانين السلوك الإنساني من خلال التعلم والإدراك وامتلاك القدرات المختلفة والاهتمام بالتغيرات البيولوجية والعصبية والنفسية المصاحبة للاستجابة اللغوية والأداء الكلامي، ومحاولة تقويم السلوك المنحرف وتعديله شأن الاضطرابات اللغوية والأمراض الكلامية، وتتبع التطور عند الطفل وعلاقته بالتطور العقلي والمعرفي والفكري والتفاعل الرمزي والاتصالي وأنواعه الحسية ومظاهره الشكلية

واللفظية؛ حيث أن المسائل اللغوية المطروحة فيه يتم تحليلها تحليلا لسانيا ويصف الآلية المعقدة للسان في مراحل تبرعمه وأطوار تشكله وأغوار تفاعله مع الوسط الاجتماعي منتجا حيثيات الخطاب الذي يبث في مختلف مواقع حياتنا الواقعية، وفي سياق محدد يؤول بعض الاتصالات المفهومية للمتلقين في قولب لسانية معينة ومرجعيات متنوعة وقنوات ذات أشكال مختلفة، وشفرات ترتكز على على ثوابت سيميائية محدودة، كما تتناول اللغة من زاوية لسانية نفسية، مرشحة السلوكات اللغوية وتصرفاتها ضمن الإطار الوظيفي الجماعي النفسي للفرد، ومفسرة الوظائف اللغوية للشخص داخل سياق نفسي اجتماعي معروف، ومناقشتها من خلال معطيات علم النفس الحديث الذي يتبنى معطيات علم السلوك والفسيويولوجيا والبيولوجيا وعلم الأعصاب، وتحديداً من خلال دراسة عمليات التكيف الاجتماعي والبيئي، والموائمة والتنظيم والتمثيل الذي تتسم به أبحاث علماء النفس المحدثين أمثال" بياجيه" .

وتجدر الإشارة بالذكر الى أن اللسانيات النفسية علم توسطي هجين قام على أنقاض علم النفس اللغوي وتميز عنه بتبنيه للأدوات النظرية والمنهجيات الفعالة في الرؤية المعيارية والتحليلية للمادة اللسانية مثل مباحث "دي سوسير" و"سابير" و"هيلمسلاف" و"جاكوبسون" وغيرهم أولاً، وأطروحات اللسانيين التوليديين التحويليين من أمثال "تشومسكي" و"فيلمور" وغيرهما ثانياً، ومعطيات اللسانيات التداولية.

ولقد ساعد في تشكيل اللسانيات النفسية عدة علوم منها علم النفس الحديث الذي اعتمد الإحصاء والاحتمالات الرياضية من ناحية تشكله المعرفي ومعطيات العلوم الإحصائية من ناحية مضمونه، ثم الأبحاث الفلسفية التي استطاعت أن تساوي بين التشكيلات المتغيرة للتنظيرات اللسانية في ظل البرجماتية المرتبطة بحاجات المنتج، وكل ما يحركه من معتقدات وظنون وأوهام لإنجاز الكلام،

والانتقائية التي تستدعي الاختيار في العمليات التعليمية مثلاً.

ومع ميلاد المسيرة التجريبية وظهور اللسانيات النفسية، اتجه عدد من الباحثين إلى الاهتمام بقضايا اللغة فأوضحوا الوصف المتداخل بين الظواهر الخارجية للنتاج الكلامي، والاستقبال الصوتي، والظاهرة الداخلية للفكر، ورأوا أن كل فعل لغوي يبدأ بخروج إحساس عام، والموضوع يجب أن يتبع بمفرده بعض ظواهر هذا الإحساس في مجموعة العلاقات الأساسية الملاحظة بين المفاهيم، وهذه العلاقات هي التي تؤلف النسيج اللغوي؛ وتميزت هذه الخطوات بتفسير السلوكات اللغوية بإرجاعها إلى الأحداث الخارجية، وانتهوا بتحليلاتهم إلى تعريفات وظيفية للسلوك اللفظي وتحديد طبيعة العلاقات والأفعال المتداخلة بين الأنشطة اللسانية والبنى العميقة للذاكرة والإدراكات الحسية للفكر، وهذا ما جسدته مباحث "اوليرون" و"دي بوشورون" وغيرهما في أبحاثهما المتعلقة باكتساب اللغة وتوظيفها، وتزاوجت هذه الأبحاث مع منتجات التيار الاجتماعي من أمثال: "والون" و"وفيثوتسكي" و"لوريا" و"وبياجيه" التي استعانت بالقوانين العامة لتطور الشخص مستثمرة إياها في أحاديثهم حول التدريب المعتمد على الآليات المعرفية العامة للاستيعاب والتحصيل التي أشارت إليها الطائفة الأولى.

١- ميلاد اللسانيات النفسية العصبية:

إن مرض اللغة الناجم عن إصابة النظام العصبي المركزي كان الشغل الشاغل لمختلف التخصصات وخاصة علم الأعصاب والنفس واللسانيات، فتحليل المعطيات المرضية سمح أولاً بإيجاد استدلالات على تنظيم الوظيفة المخية وتمايزها، ومن جهة ثانية تحليل اضطرابات اللغة أعطى فهما أحسن لوظيفة هذا التصرف الإنساني المعقد ولتنظيمه، كما أن إقران هذا التحليل بالمعطيات اللسانية الأخرى كون لنا من جهته رؤى أفضل لحقيقة هذا السلوك، أي أن الدراسات المقتصرة على جانب

من هذه الجوانب تعتبر مقصرا، لذلك استدعيت الدراسة النفسية العصبية لفهم حقيقة هذا التصرف بكل جوانبه.

كان من صعوبة بمكان تمييز العناصر المكونة للأمراض التي تكمن في مقارنتها بالتصرفات اللفظية العادية من جهة أن الدراسة الآلية للتصرف ستكون عائقا لتحليل المرض وفهمه، ثم إن مجموع العمليات الداخلية مبهمة سواء أتعلق الأمر بفهم الملفوظ أم ببثه وهي عمليات غير قابلة للفصل على أساس الملاحظة الظاهرية للتصرفات اللفظية السليمة للكبار في حياتهم اليومية(١) ومن أجل تحليل يراعي مختلف العوائق، افترض علماء اللسانيات النفسية طرق لمقاربة الظاهرة وذلك بدراسة(٢):

١- الأساس التطوري وأولياته: الذي يصف التكوين المتنامي للغة عند الطفل، ويكشف بذلك عن بعض أنظمة الاكتساب اللغوي وباستنتاج مستويات التعقد وتحليل الوظائف المتكونة في كل مرحلة من مراحل العمر للفعاليات اللفظية وبذلك نقيم دراسة اقتصادية عامة للتطور.

٢- إقامة أبحاث تجريبية: والتي يمكن أن تقودنا في مناسبات خاصة لتحليل ردود الأفعال اللفظية سواء أتعلق الأمر بسرعة الرد أم بطبيعته وذلك لأشخاص يخضعون لتحريضات معينة والذي يسمح لنا باستنتاج بعض قوانين نظام التصرفات اللغوية.

٣- الاهتمام بالأمراض المخية(٣): التي تؤدي إلى اختلالات في النظام السلوكي المسجل عند بعض الأشخاص ومن ثم فالسيرورة التي تظهر في كل مرة شكلاً

(1) Colette Durieu - La rééducation des aphasiques - Charles et Dessart -Bruxelles 1969 P 24.

(2) Van.hout.& Seron.X - L'aphasie de l'enfant et les bases biologiques du langage - Pierre Mardaga - Bruxelles 1983 P 13 à 17

(٣) ونسجل هنا أن المرض الفطري لا يعد اضطرابا بقدر ما يعد نظاما متفردا.

لتطور لفظي تتعطل وتختل، وهكذا فمجمل الاختلالات الفردية والجماعية الناجمة من إصابة النظام العصبي المركزي تستثني بعض المظاهر التي قد تلحظ في تأخرات اللغة وصعوبة استذكار كلمات معينة دون تسجيل أي اضطراب نحوي وغيرها مما يمكن أن يكون وظيفيا(١)، وهي الاختلالات المولدة للحبسة الناجمة عن إصابة محددة و بؤرية في النسيج العصبي وهي التي تظهر فجأة عند شخص يتكلم طبيعياً(٢)، وتسلك الاضطرابات الحبسية منحنيين في ظهورها تتعلق إحداها بمدرج الفهم والأخرى ببث الرسائل اللسانية(٣).

إن الحبسة كانت موضوع مشترك ثلاثة رؤى كبرى على مدى فترتين من تطورها وهي: علم الأعصاب واللسانيات والوظائفيين أو أصحاب نظرية التفكك الآلي – الإرادي للسلوك وهي التي أنتجت جميعها مبحث علم الحبسة في اللسانيات النفسية.

٢- علم الحبسة واللسانيات العصبية والنفسية:

لقد اهتمت اللسانيات بشرح علم الحبسة اعتماداً على التحليلات والأوصاف القائمة على الشكل اللساني لمظهر الحبسة اللفظية أما التيار الوظائفي فقد وصف النشاطات اللفظية في تداعياتها الآلية والإرادية في الحدث التواصلي و أما تيار علم الأعصاب فقد حلل الفعاليات اللفظية اعتمادا على الأنظمة المنفذة والمستقبلة المتداخلة وعلى مختلف أشكال الإضطرابات الملحوظة في المواقع المسؤولة عن الإصابة.

أ–التيار العصبي:

إن المعيار الذي يستند إليه هذا التيار هو نظام العصبي الفسيولوجي لظواهر التكلم وفهم الرسائل الشفوية، والكتابة و القراءة المتضمنة في الأنظمة المحركة، ووصف الأجهزة ومراكز المعالجة المحيطية والمركزية والتي تؤمنها ويترجم السلوك

(1) Van.hout.& Seron.X - L'aphasie de l'enfant et les bases biologiques du langage- p14.

(2) Ibid - p 15.

(3) Algouanine TH - l'aphasie et le langage pathologique - Baillière - Paris 1968 - P 16.

اللغوي فيها من طريق السيالة العصبية المنتقلة بين الأجهزة المتحكمة في اللغة ومراكز المعالجة والتي تتميز اتجاهًا واختياراً، كما أن وصف اضطرابات اللغة هنا يتطلب التحقق من مكان وجود الاختلال الوظيفي داخل هذا النظام الفسيولوجي العصبي. إن مقاربة السلوكات الحاصلة تقودنا إلى تمييز مجموعة الفعاليات اللفظية حسب التقسيم الثنائي المزدوج (شفوي – كتابي، استقبال – بث) ونسجل من ذلك السلوكات النمطية التالية:

* شفوي + استقبال = استقبال أصوات اللسان (فهم شفوي).
* شفوي + بث = نطق أصوات اللسان (الكلام).
* كتابي + استقبال = قراءة.
* كتابي + بث = كتابة.

ومع ذلك فإن هذه الفعاليات الأربعة متصلة مع بعضها البعض فمثلا عندما نقرأ بصوت مرتفع فإننا نستدعي فعالية القراءة ونطق الأصوات اللسانية فهناك إذن انتقال مكاني للأنظمة فيما بينها والتي تولد روائز اختيارية جديدة " les batteries d'examen " وذلك كما يبينه الجدول التالي(١):

	تحريض خارجي غير لساني	استقبال	بث	نتيجة
شفرة شفوية		●	←	كلامي تلقائي
		●	←	إعادة شفوية
		●	←	قراءة بصوت مرتفع
		●	←	تسمية شفوية
شفرة كتابية		●	←	كتابة تلقائية
		●	←	كتابة منسوخة
		●	←	كتابة آتية من الإملاء
				تسمية كتابية

(7) Rondal JA & all - Troubles du langage, diagnostic et rééducation - Pierre Mardaga - Bruxelles- P 143.

وكانت وجهة النظر الحسية ـ الحركية هذه المنطلق في تصنيف الحبسات التي تفترض وجود مراكز متخصصة لكل هذه الأنشطة من طرق إتصالية مختلفة للمراكز المسؤولة عن اللغة، ومن ثم فإصابة أي مركز أو أي طريق يؤدي إلى نوع محدد من الحبسة، فهناك حبسات خالصة أو شبهة خالصة فإصابة مجموعة البث الشفوي تنتج مرض عسر النطق (Anarthrie) وذلك الذي يصيب البث الكتابي يدعى العمه الكتابي "Agraphie" والذي يصيب الاستقبال الشفوي يسمى الصمم اللفظي "Surdité verbale" والذي يصيب الاستقبال الكتابي يسمى العمة القرائي" Alexie "(١).

إن المقاربة الحسية الحركية برهنت على موائمة جيدة للعلاقات الكائنة بين المعطيات التشريحية المرضية وأعراضها، كما بينت أن هناك قوالب وظيفية مخية مستقلة وأخرى تتأتى من الطرق الرابطة بينها من طريق انتقال السيالة العصبية من مركز إلى آخر والتي أطلق عليها بالقوالب الترابطية أو الترابطات العقلية " Néo- associationnistes" .

إن التيار القائل بنظرية الترابط كان مهد دراسات علم الأعصاب النفسي ومن بينهم Bastian و Wernicke و Küssmaul و Lichteim والذي عرف في بداية هذا القرن وتبع بتحديد المواقع بطريقة متناهية الدقة وظهرت بذلك أعمال العالم العصبي النفسي Geschwind في عام ١٩٦٨ لتقرير حقيقة هذه المواقع والترابطات الموجودة بينها(٢) التي تبينها الرسمة التالية(٣)(*):

(1) Ibid - P 143.

(2) Aljouanine - Abrégé de neuro-psychologie -Masson- Paris- P 54.

(3) Rondal JA & all - Troubles du langage, diagnostic et rééducation - P 144.

(*) تمثل المربعات المراكز و الأسهم الطرق الجامعة للمراكز و توجه المسارات الخاصة. و المربعات المنقطة تدل على أن المركز الخاضع ممثل في نصفي كرتي المخ، أما الأسهم السميكة فتبين المدخولات الخاصة والمخرجات (هذا التخطيط كيفه Heilman و جماعته سنة ١٩٧٦).

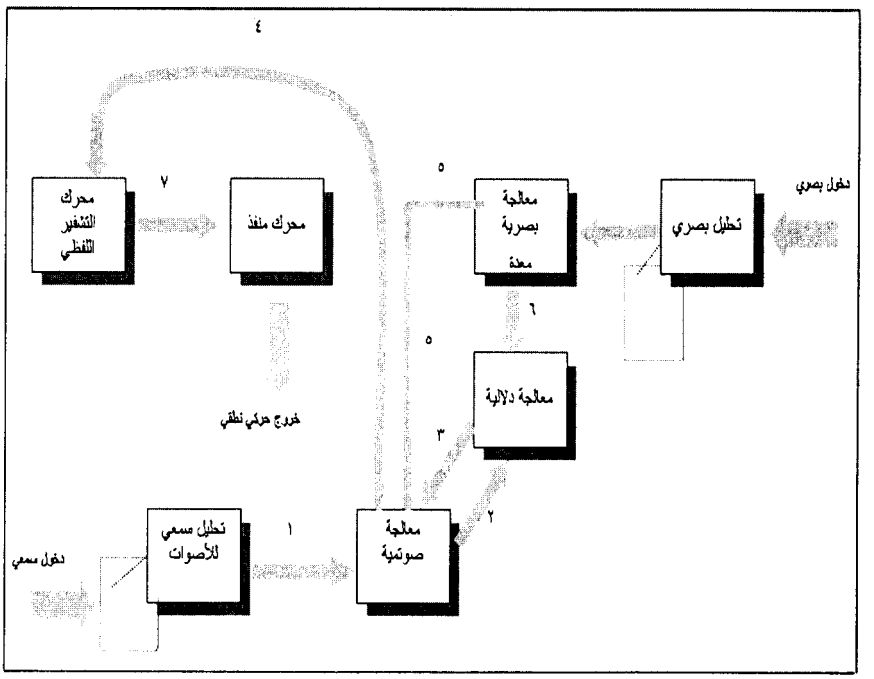

فانطلاقا من هذا المخطط الذي يعكس المنطقية الملازمة للنسب الترابطية يمكن أن نسلم بوجود ما يلي:

* مراكز معالجة حيث يتم تنفيذ العمليات الخاصة.

* طرق العبور بين مختلف المراكز التي تسمح بتحويل المعلومات.

* المسارات المتعددة ضمن المخطط هي التي تمكننا من تحليل مختلف الفعاليات اللفظية.

* بقدر ما كانت هذه الرسمة المقترحة مجردة إلا أنها أرادت أن تبين من جهة أخرى صورة على البنى العصبية التحتية فالطرق والمراكز واقعة ضمن النظام العصبي المركزي.

* وأخيرا فبإمكان هذه الرسمة أن تعطي قيمة توقعية عند قطع انتقائي للطرق والمراكز الخاصة في المخطط وتسجل حينئذ مختلف أشكال الحبسة المصادفة في

التشخيص العيادي الحديث. وحتى التي لا تلاحظ في التشخيص، والاكتشافات الحاصلة فيما بعد مثل هذه الاضطرابات كانت كذلك دليلا قاطعا لصحة الاقتراض التخطيطي السابق.

إن الرسمة التي وضعها Heilman وأقرانه تنفذ الشروط المذكورة سابقا في الجدول فهي تحوي بالفعل مراكز سبعة اثنان منها متواجدة في نصفي كرتي الخ، وتحوي كذلك طرقا رابطة بين هذه المراكز ومسارات، فيمكن أن نصور مثلا القراءة بصوت مرتفع أو إعادة الصوت أو فهمه وغيرها. على الرغم من أن هذه الرسمة لم تراع الصنف الكتابي الحركي. وعموما فالقوالب الترابطية قد لاقت نقداً، وهي قد أثبتت عدداً مهما من الملاحظات العيادية، وأن نظرية التوقعات الدماغية قد لاقت إقبالا في ميدان العلوم العصبية النفسية(١). وأغلبية الباحثين في مجملهم قرروا مع Geshwin وجود منطقتين دماغيتين أساسيتين هما مركز استقبال أساسي يقع في النص الصدغي الأيسر (فضاء فرنيك). ومركز تركيبي تعبيري يقع في مقدمة الفص الجبهي (فضاء بروكا) ويربط هذين المركزين حزمة مقوسة Faisceau arqué تسمح بتقليد الأصوات، وبتيسير التدريب على الكلام(٢).

ويمكن أن نفهم مجمل الأنشطة اللغوية بإسقاط هذه الأنشطة على المراكز الدماغية و إصابتها مع سبلها يؤدي إلى الحبسات المبينة في الجدول التالي:

(١) اضطرابات تأتي من إصابات معينة داخل النظام العصبي المركزي.

(2) Maccarthy - D - le développement du langage - Vol 2 - P.U.F 1952 - P 22

الإصابة	التصرفات المختلة	التصرفات المصانة	الأمراض
المطل الصوتي	تكرار شفوي فهم شفوي وكتابي عدم القدرة على التسمية لغة تلقائية	- لا شيء	- حبسة فرنيكي
محرك التشفير الرمزي	لغة تلقائية تكرار شفوي .	- فهم شفوي و كتابي .	- حبسة بروكا
الطريق رقم ٤	تكرار شفوي لغة تلقائية	- فهم شفوي و كتابي .	- حبسة النقل
الطريق رقم ٣	عدم القدرة على التسمية لغة تلقائية	- تكرار شفوي و الفهم .	- الحبسة الأمهية .

وعلى الرغم من فهم وظيفة بعض الترابطات الموجودة بين هذه المراكز إلاّ أنها لا تعطينا تصورا لتلك القوالب الصغرى التي كانت مركز اهتمام اللسانيات النفسية والتي أغفلتها جانبا هذه الدراسة، إن الأمر يتعلق بتفسير قضية التركيب اللغوي وتنظيمه الذي يؤدي خلله إلى تسجيل الاضطرابات النحوية L'agrammatisme (١) والاختلال التركيبي Dyssyntaxie(٢) وإضطرابات الاستدعاء اللفظي الملاحظة في جل الحبسات وغيرها، ومن جهة أخرى فإمكانية تفسير هذه الرسمة لمختلف الحبسة قائم على قانون "الكل أو اللاشيء"، فقد يعين فقط ما يؤديه القطع الكلي للسبل الواصلة بين هذه المراكز من حبسة أو الإتلاف الإجمالي لهذه المراكز، غير أن حقيقة المرض نادراً ما تكون مميزة فهي قد تظهر بالمقابل جميع أنواع الاختلافات الملاحظة في درجات الإصابة وقد تظهر كل أقسام الاضطرابات وأغراضه المصاحبة(٣)، والتي تسعى اللسانيات النفسية المعاصرة إلى فهمها وتفسيرها(٤). إن نظرية "القوالب الترابطية" قد نجحت إلى حد ما في تفسير نشأة السلوكات إلا أنها قلّما استطاعت أن تفسر المتحولات التي تطرأ على هذه السلوكات العادية.

(١) اضطراب نحو يصحب بعض المرات حبسة بروكا.

(٢) اضطراب نحوي من طبيعة مخالفة يصحب حبسة فرنيكي

(3) Maccarthy - D. Op.Cit. P: 26 et 27.

(4) Rondal JA & all - Troubles du langage, diagnostic et rééducation - P 146.

إن اللسانيات العصبية المعاصرة قد تأسست على أسس ثلاث كان منها علم الأعصاب النفسي المعاصر، الذي أقام دراسة للظاهرة على جسر يربط العمليات العصبية الفسيولوجية والعصبية التشريحية بالعمليات السلوكية المختلفة والتي منها اللغة. وكان ميلاد اللسانيات العصبية من تساؤل مركزي عميق فحواه ما هو الأساس العصبي التشريحي للفعاليات اللغوية؟ وأين تتم داخل النظام العصبي المركزي الأحداث العصبية الفسيولوجية التي تضم الفعاليات اللغوية؟ وتمكنت بالفعل من إيجاد أجوبة لهذه التساؤلات والتي أعطت صورة وظائفية لمختلف الفضاءات المخية وعلاقتها بالفعاليات اللغوية و أثبتت امتداد هذه الفضاءات ودور بعض البني الدماغية التحتية والوظائف المختلفة المنجزة في وسط فضاءات اللغة هذه، ولم يتوقف مجال البحث في ميدان علم الأعصاب بجرد الفضاءات المخية المتدخلة في إرساء دعائم الوظيفة اللغوية وإنما تعداها إلى مسائل أخرى تتعلق بمبحث فطرية واكتساب اللغة القائمة على أسس الجينية والسيطرة المخية لنصف كرتي المخ للوظائف اللغوية والنضج الدماغي وعلاقته بتكيفات الوسط والإنشاءات المتنامية القائمة على الاستعدادات الوراثية الموجودة منذ الولادة وعلى التغذية السمعية والممارسة النطقية(١)، واستطاعت أن تخلص إلى نتائج من خلال المناقشات القائمة حول فطرية واكتساب اللغة، إلا أن هناك نصف كرة مخي أيسر مسيطر على الفعاليات اللفظية وأيمن قاصر وبفعل التجارب العديدة تبينت أن نصف الكرة المخي الأيسر يخضع للفعاليات ذات المادة اللسانية اللفظية بينما نصف الكرة المخي الأيمن شرك الأيسر في معالجة المواد اللسانية ذات الطابع البصري والمكاني(٢)، كما أثبتت أن هناك قسمان من المهمات التي يؤديها الدماغ إحداها تتطلب نظاماً

(1) Aljouanine - Abrégé de neuro-psychologie - P 41 et les suites.

(٢) نعني بذلك القراءة و الكتابة.

معقداً يتطلب إنجازه سلسلة متتالية من العمليات وكذلك تحليلها، ينجز هذا النظام بآلية تكاملية تستدعي معالجات مختلفة لفظية وغير لفظية تتدخل فيها مواضع قد توجد بصفة توأميه في نصفي كرتي المخ، وقد تنفرد في نصف كرة مخي معين بعض المواضع دون أن يكون لها مشابها في النصف الثاني؛ وهذا مما جعل نصف كرة المخ الأيسر يتفوق من هذه الناحية باحتوائه مناطق تنفرد بمعالجة المادة اللفظية وكذلك برمجتها. وهناك نوع من المهمات قد ينجز في نصفي كرتي المخ(١).

كما أن اللسانيات العصبية أُكتسب من علم الأعصاب و الانتقال الوراثي للصفات وذلك من طريق دراسة أنظمة التواصل عند بعض الكائنات الراقية. ومقابلة ذلك بالإنسان الذي يفوقها ويتميز عنها بتطور أنظمه العصبية واختصاصه بعدم التناظر المخي(٢).

ب- تيار علم اللسانيات:

لقد حاول كل من "Jackobson " و " Pick و"Alajouanine" وآخرون وضع مقدمه تعتمد تفسيراً لسانياً، غير أن "Jackobson" جسدّها في صورة أكثر وضوحا على شكل مقاربة لسانيه تفسر إضطرابات اللغة بالاعتماد على الأسس النظرية والمنهجيات التقنية اللسانية والتي صنف بحسبها الحبسات التي لاحظها مواطنه "Luria" في تشخيصاته العيادية مبينّا الأبعاد اللسانية الموجودة في مستويات التحليل اللساني فقالب "جاكوبسون" يفترض مفهوم أساس للحبسة يرتبط بالتحليل اللساني لأشكالها المختلفة التي ميزها "Luria" والذي يوضح الإضرابات المختلفة نوعياً(٣)، والقائم على

(1) Ajuriagirra.A - Manuel de psychiatre de l'enfant - Masson .1974. P 25 et suites

(2) Par exemple ; voir : Herbert .S.& Terronce - Nim : un chimpanzé qui appris les langages gestuel .

(3) Paul cazayus - l'aphasie de point de vue de psychologue -Dessert et Masson -1977- P 231 et les suites.

ثلاث أقسام ثنائية المعروفة بالعمليات الأساسية التحتية للسلوكات اللفظية وهي[١]: التأليف / الاختيار[٢]، التجميع /التفكيك[٣]، التسلسل / التنافس[٤].

فالانقسام الثنائي الأول يرى أنه كي ينجز الكلام لابد من اختيار الكلمات والصوائم التي تؤلفه هذا من جهة، ومن جهة أخرى تنسيقها بحسب بعض القواعد التأليفية للخطاب، وتدعيما لهذا الانقسام الثنائي الأول استخرج "جاكوبسون "منه في أول وهلة شكلين أساسيين للحبسة أحدهما ناتج من اضطراب المحور الاختياري والأخرى ناتجة من المحور التأليفي (المجاورة)[٥] وهذا التقسيم الثنائي يوازي في علم الحبسة الحبسة الحسية أو الإدراكية المعروفة بحبسة "فرنيك" وحبسة حركية أو تعبيرية المعروفة بحبسة "بروكا"، وفي بعض الحالات تعرف باضطراب حل التشفير " Décodage" وإنجاز الشفرة "Encodage" والتي تقوم فيها عمليتا التأليف والاختيار بالدور الحاسم. وهكذا فإن الشخص في عملية إنجاز الشفرة يختار وحدات ملفوظه قبل تأليفها في كل متكامل. وهذه الظاهرة لا يوّفق فيها المصاب بالحبسة وكذلك في فك الشفرة الملفوظة إذ يدركها إجمالا في أول وهلة ثم يتبعها بالتعرف على مكوناتها، وهذه الظاهرة الثانية تتطلب إمكانية اختيارية ذاكريه تختار فيها معاني الكلمات، وهذه الظاهرة الاختيارية تكون مضطربة عند المصاب بالحبسة الإدراكية وتتتالى عمليتا التأليف والاختيار في كلتا المرحلتين بالتتالي آلاتي؛ إنجاز الشفرة يبدأ باختيار الوحدات التأليفية للملفوظ ثم تليه مرحلة التأليف أما في فك الشفرة فتتم بالطريقة العكسية[٦].

(1) Ibid -P 232

(2) Combinaison / Sélection .

(3) Limitation / désintégration

(4) Séquence / Concurrence.

(5) Ibid.-P 234.

(6) Paul cazayus - l'aphasie de point de vue de psychologue- - P 235

أما الانقسامات الثنائية الثانية والثالثة، فقد أعدها مؤخرا "جاكوبسون" ليفسر فيها أربعة أنواع أخرى للحبسة انفرد بها مسبقا "Luria"، فالانقسام الثنائي (التجميع / التفكيك) يُظهر - أكثر من التقسيم الثنائي الثالث - شكلا مخففا من الأول؛ فإنجاز الشفرات الذي ستصاب فيه الوحدات التي تتجاوز حدود الجملة يكون تأليف الجمل فيما بينها عنده صعب، بينما في فك الشفرات بعض عمليات الاختيار الدلالي للجملة ومجاورتها تكون مضطربة وخاصة تلك التي تحوي وحدة إحالية(١) أو يتصدر العائد فيها التركيب(٢).

أما الانقسام الثنائي الثالث فجاء مدعما للأول، فالصعوبات الملحوظة في إنشاء الشفرات وفكها التي قد تكون مختلفة حسب العناصر المكونة لها أو قد تكون متتابعة أو محايثة لبعضها(٣) ومن ثم "جاكوبسون" باقتراحه التقسيمات الثنائية الثالثة استطاع أن يعطي تفسيراً لستة أنماط في الحبسة.

وقد دُعّم هذا التحليل من قبل باحثين فرنسيين هما: "Gagnepain , Sabouraud"، الذين ركزا على تحليل ثنائي القطب للغة يميز المحور النصي والمحور المعجمي(٤) ويعتمد من جهة أخرى على تحليل مستويات التحليل اللساني السوسيري القائم على مخطط سيميولوجي وأخر فونولوجي(٥).

وعلى الرغم من أن "جاكوسبون" حاول أن يعطي تفسيراً لأشكال الحبسة المختلفة، غير أنه لم ينجح في تقرير تفسير ثابت لهذه الظواهر، كما أن أشكال الحبسة الناتجة من اضطراب المحور الاختياري أو التأليفي قد تتأثر ببعضها البعض،

(1) La co-référence

(2) Anaphorique .

(3) Paul cazayus -Op-cit - P 236 à 238

(4) Rondal JA-& coll - Troubles du langage, diagnostic et rééducation - P 156.

(٥) هذا التحليل يعتمد على محوري التركيب والاستبدال (paradigme /syntagme).

وهذا مما دعا "جاكوبسون" إلى التفكير في تفسيرات أخرى توائم ما توصل إليه "Luria" وهي لا تُظهر كذلك درجات تطور خطورة الإضراب بحسب طاقة الإنجاز التي قد تكون محدودة عند الأشخاص المصابين بالحبسة ومما أدى كذلك إلى التساؤل حول كون الحبسة اضطراب في الكفاءة أم الأداء؟. وأدخلت في هذا النقاش نظريات لسانية حديثة، حاولت أن تقوم بتفسير الحبسة انطلاقا من الثنائية التي قوامها الكفاءة والأداء المستوحاة من نظرية "تشو مسكي" الذي عرف الكفاءة بأنها "... المعرفة الحدسية المتوفرة عند الشخص بقوة وتؤدي به إلى امتلاك لسانه الخاص، بينما الأداء هو التجسيد الفعلي لهذه الكفاءة في سلوكات لسانيه خاصة..."(١). فعندما يحتفظ الشخص بكفاءة سليمة تحوي أحكاما لسانية صحيحة فإنها تنتج إنجازات لفظية غير مضطربة، لكن في حالة ما يكون الإنجاز قاصراً يتعدى تلك المظاهر القصرية الدنيا من الصعوبات التي تلحظ مصادفة عند أي شخص طبيعي، فإنه يمكن أن نتوقع قصرا لفظيا من طبيعة الحبسة وفسر في هذا المجال بحسب وجهتي نظر تمثلت في أن الكفاءة لا يمكن أن تصاب أبداً في الحبسة وأخرى ترى أنه حتى ولو أصيبت الكفاءة اللسانية فهي الوحيدة التي تمثل المظاهر اللسانية المختلفة ووجود تشوهات منفردة يعني بالمقابل اضطراب العوامل المتحكمة في الأداء. وهذا ما أشار إليه كل من " Bierswisch و Weigl" وأظهرا أن غياب عوارض الاضطراب تتجلى في كل الأشكال اللسانية وفي كل سياقات التلفظ، فهناك إذن نمطين من الحبسة التي تظهر نتيجة أصابة الكفاءة وهي حبسة خلل التمثيل النحوي "Agrammatisme" وحبسة كليه، فالأولى يضطرب فيها النحو أي مجموع سجلات الإرسال والاستقبال. والثانية لا يستطيع فيها المصاب بالحبسة

(١) نووم تشو مسكي – المعرفة اللغوية (أصولها واتجاهاتها)– ترجمة وتعليق وتقديم: محمد فتيح– دار الفكر العربي– بيروت ١٩٩٣. ص ٢١٩.

الكلية بث أي رسالة لسانية ويكون فيها غير قادر تماما على الفهم ولو في أدنى مستوى، و نتفادى حبسة الخلل النحوي من خلال تغذية الجهاز المعرفي الداخلي المسؤول عن الوظيفة الماوراء لسانيه، كما أن الحبسة الكلية يمكن أن تستعاد في معظم الأحيان، وهذه القدرة على تعويض النقص "Récupération" هي التي قادت الباحثين إلى الاعتقاد بأن الكفاءة لا يمكن أن تزول وتضمحل. إلا إذا استحالت علميه التعويض الذاتي للاستعداد(١).

ومسألة أخرى كان قد طرحها "Whitaker" بوساطة برهان بالخلف فحواه: إذا كانت الكفاءة غير متعلقة تماما بأي إصابة مخية للمناطق المسؤولة عن اللغة فهي إذن تفترض أن الكفاءة لا تقوم على أي أساس عصبي معين. وتوصل من خلال هذا البرهان إلى أن الكفاءة قد تختلط مع مجموع الوظائف الدماغية المختلفة هذا من جهة ومن جهة أخرى قد تلازم كل وظيفة معرفية. وهذا مما سيحتاج إلى تقصي لحقيقة هذه الظاهرة. ودون تردد تطوع "Lesser" إلى إيجاد حل مناسب لهذه الإشكال بالاحتفاظ على المقرح المميز في الكفاءة والأداء لكن بإعادة تشكيله من جديد بإضفاء بعض المتغيرات بهذا المصطلح؛ وانطلق بذلك من ملاحظتين أولاهما أنه استفاد من خلال الحوادث المرضية من تمييز الاضطرابات التي تتمثل بصفة عامة؛ أي أنها تتجسد في كل فعالية لسانية محاطة ببعض الظروف وببعض القوالب. وثانيها أن مفهوم الكفاءة مثلما عرفها "تشومسكي" تمنع أي مسعى تجريبي لها لأنها بهذا التعريف لا يمكن أن تكون ملحوظة في الحدث الكلامي. ولهذا اعتمد "Lesser" بعض الاعتبارات التي توصلت إليها اللسانيات النفسية القائمة على ملاحظة التطور الكلامي وأخرى على التجارب المختلفة التي قامت بها. واستنتج من ذلك أنه لا يمكننا أن نهتم في التكلم بكفاءة منفردة وإنما

(1) Paul cazayus - l'aphasie de point de vue de psychologue - P 252 et 253

بكفاءات متعددة ومتغيرة في درجات تدخلها ومختلفة حسب السياق الاجتماعي والأنظمة اللسانية المشكلة (فونولوجيا، تراكيب، دلالة) وكذلك ما يخص إرسال الرسائل وإدراكها(١).

وجهة النظر هذه توصلت إلى تحديد التميز الحاصل بين الكفاءة والأداء من خلال تحليلنا للسيرورة الداخلية ووصولا إلى الإنجازات اللسانية، وقاربت أيضا الطرح النظري للأعمال الجوهرية المطروحة حاليا في اللسانيات العصبية، انطلاقا من تساؤلات قلّ ما كانت تطمح إلى ذلك ومن هنا تجسدت النظرية اللسانية العامة المقاربة للاضطرابات الحبسية في كونها تمكن في المواصفات الدقيقة للحالة التي تمثلها بدلاً من تلك العموميات المبتسرة، وتمثيلاً لذلك يمكن أن نذكر التحليل الذي تبناها علماء اللسانيات النفسية والعصبية(٢) للمظاهر الفونولوجية والتركيبية للرطانة(٣) والذي كشف أثناء تفاقم المرض عن المحافظة على شيء من الاعتدال، وفي المستوى الفونولوجي تحترم بنية الكلمة المشوشة لفظيا "Paraphasie"(٤) والمولدة " Néologismes " القيود الخاصة بلسان المتكلم، وفي المستوى التركيبي نلحظ أن الخلط اللفظي له لا يحدث دون تبصر فاختبار الملفوظات المعروفة بيّن أن الجمل يمكن أن توصف حسب معايير طبقية بنائية وعلى الشكل التالي مثلا:

* أعـــرف ----------
* أقـــول ---------- أن (جملة٢)
* أستطيع ----------

(1) Ibid- P 254

(2) Tels : Lecours, Green , Buckingham , Kerteszì ect

(3) Le jargon.

(٤) وتترجم عند المشارقة العسلطة.

فنلاحظ في البدء أن الجزء الأول غالبا ما يكون سليما، وأن التفكك الدلالي يظهر في الجملة الثانية، وفي هذا المثال كان النحو التحويلي لتشو مسكي المرجع الذي أطّر الملاحظات التفصيلية(١). وبهذا أثرت وجه النظر اللسانية بأدواتها المفهومية التي كانت قوامها وبالحقائق التي أظهرتها مبحث علم الحبسة إلى أن نشأت اللسانيات العصبية النفسية، وحاولت أن تجيب على التساؤل التالي: ما الذي يجعل سلوك المتكلم غير منقاد بدقة للقواعد المكتشفة في التنظيم اللساني؟. وحاولت أن تتوصل إلى ذلك من خلال تقسيم العمل العلمي؛ فاللسانيات تصف بنية اللسان أو أي لسان معطى واللسانيات النفسية تبحث في بناء الأشكال السلوكية للفرد المنحصر في الكلام والفهم. ومن ثم تبين الفارق الموضوعي للدراستين؛ فاللساني يفترض كفاءة متعادلة عن مختلف المتكلمين ومن ثم يُعرّف بمجموع القواعد الفونولوجية والتركيبية المشتركة داخل الحدث الاتصال ويتوصل بذلك إلى نظريات عامة ومجردة، ومن جهته اللساني النفسي يلتزم بتحليل السلوكات الظاهرية انطلاقا من إنجاز الجمل والحفظ الذاكري للنص والتسمية الآتية من مقابلة الأشياء لبعضها البعض وغيرها. على الرغم من أن رغبته هي أن يتوصل أخيرا إلى نظرية عامة ومجردة. ووجب أن يرتضي في الإطار الحالي بالإشكال الدقيقة المحددة في السلوكات وتحليلها؛ هذه الأشكال المختلفة التي قد تشترك أحيانا تستدعي بداهة وجود برنامج أو سيرورة معالجات معلومية داخلية للسلوكات الظاهرية. ومن هنا تكوّن مجال اللسانيات العصبية والنفسية التي كان من بين مباحثها البحث والتعرف على المرض الناجم من اختلال الظاهرة الداخلية للتصرفات اللغوية المعلّمة في السطح وكان بذلك المجال الممتاز المختبر لصلاحية الأشكال السلوكية المعدة في مجال ملاحظته أو خارج ذلك. إن تنوع البحوث المعاصرة في اللسانيات العصبية والنفسية يستحيل ذكرها إجمالاً. وكان من بين

(1) Paul cazayus -Op-cit - P 209 et les suites.

البحوث التي تناولتها اضطراب القراءة وتحليل دور العوامل التركيبية والدلالية المتدخلة في عملية الفهم اللفظي(١).

إن تطور مثل هذا العلم في مجال علم الحبسة كان قد طرح إشكالات نظرية لا يمكن إهمالها، فقله منها تميل اليوم إلى إثبات جزئي أن التصرفات المرضية هي ناتجة من وظيفة طبيعية أقل معالجة انتقائية لتعرضها للإصابة، والاختلالات التي تحدث بعد الإصابة قد تكون متعددة، وبقدر ما تفسد الفعاليات اللفظية فإنها تحدث تغيرا في السلوكات الأخرى، فهناك إذن مرض متعدد الشكل غالبا ما يصعب تحديده؛ هذا إذا وجد(٢). ومن جانب آخر، فالنزعة الملحوظة في علم الأمراض النفسية والعصبية تدور حول الدراسة التفصيلية للحالة النموذجية أي حالة ظهور اختلالات محدودة في بعض مركبات الفعالية اللفظية، وهذه الصفة المحددة للاختلال تبقى مشتبهة بوجود اضطرابات نوعية هي الدليل القاطع في البرهان. والتحديد الثاني مرتبط برقعة المرض حيث يمكن أن تختبر افتراضات اللسانيات النفسية فيما يخص إعادة التنظيم العصبي الفسيولوجي والسلوكي بعد الإصابة المخية(٣) وهذا ما أثبت وجود نظامين من الأفعال متقاربين، أولهما الدراسة العصبية التشريحية والعصبية الفيزيولوجية التي أثبتت أنه بعد الإصابة المخية تُنتج في الدفاع بعض إعدادات التنظيم، والتي لا يمكن مع ذلك أن نلحظ فيها تلاقي سلوكي. وثانيهما ما بينته الإجراءات العيادية الحديثة من أن الاضطرابات السلوكية الناجمة بعد الإصابات المخية تتطور نحو التحسين والتصليح(٤) ومن ثم

(١) وهذا البحث يحاول أن يعطي ولو نظرة شاملة لمباحث علم اللسانيات النفسية و العصبية.

(٢) وهي وجهة نظر المنظرين العقليين مثل اللسانيين وعلماء النفس والاجتماع المكتفين بالنظريات المجردة للسلوكات البشرية.

(3) Rondal JA-& coll - Troubles du langage, diagnostic et rééducation - P 157 et 158.

(4) Algouanine TH - l'aphasie et le langage pathologique- P 32.

يمكن أن نستنتج أنه في بعض الحالات الاضطرابات الملحوظة قد لا تدل مباشرة على التأجيل الذي تستغرقه معالجة بعض المعلومات المناسبة للبث الطبيعي للغة وإنما هي صورة تأجيل المعالجة وتدخّل أنظمة لا تكون عادة متضمنة للفعاليات اللغوية العادية(١)، ونسجل مع ذلك أن هذه الملاحظات تأتى من بعض الصلاحيات الخارجية الناتجة من مقارنتها ببعض الأشكال المختبرة في اللسانيات النفسية القائمة على دراسة التطور العقلي وكذلك دراسة السلوك اللفظي للبالغ(٢).

وكان من بين مجالات البحث في اللسانيات العصبية والنفسية مثلا خلل القراءة العميق والسطحي الناتجين عن التحلل الترابطي، فمنذ نهاية القرن الماضي، عزل العياديين مختلف الاضطرابات القرائية وعوارضه من بحث "Djerine" سنة ١٨٩٠ الذي عرّف ثلاثة أمراض تشمل كل الملاحظات العيادية، وهذه الأعراض ميزت(٣) عمه قرائي دون عمه كتابي "Alexie sans agraphie" وعمه قرائي مع عمه كتابي "Alexie avec agraphie"، وعمه قرائي يلازم الحبسات الحسية، وهذه التناذرات العيادية كان سببها من جهة أخرى إصابات منطقية دماغية؛ فإصابة الصدغ الأمامي يعطينا عمه قرائي من طبيعة الحبسة الحسية وإصابة الثنية المنحنية يعطى عمه قرائي و عمه كتابي وإصابة المنطقة القفائية والجسم الثفني يعطي عمه قرائي خالص الذي يسمى أيضا "Alexie agnosique" (عمه قرائي مموه للفهم)(٤).

ج – التيار الوظائفي (نظرية الانحلال الترابطي الآلي – الإرادي):

ومبدأ هذا الاتجاه هو أن عددًا من الملاحظات العيادية تقرر أن اضطرابات اللغة المصادفة في الحبسة متغيرة عند الشخص نفسه في مختلف لحظات تطور المرض.

(1) Ibid - P 34

(2) Paul cazayus - l'aphasie de point de vue de psychologue - P 253 et les suites.

(3) Rondal JA-& coll -Op-Cit -P 160

(4) Ibid - P 162

هذه القاعدة القابلة للتغير أخِذت من سياق يعرف باســـم الانحلال الترابطي الآلي – الإرادي(١). أو مـــــبدأ "Baillarger -Jackson"، وحسب هذا المبدأ فبعض الأنماط اللسانية المستعملة تتوافر في اللسان وتحدث فجأة في عدد من المناسبات مثل عبارات المجاملة والتعجب والتحية والشتائم والعبارات المترجمة للابتهاج والمفاجآت وعبارات الألم والحزن وغيرها ويمكن أن تكون إذن محفوظة من أي تغير وتسرد في الملفوظات المعادلة لها شكلا وتعقيداً، ولا يمكن أن تظهر في البث اللغوي عندما يطلبها المجرب في مناسبتها(٢). هذا الانفصال بين القطب الآلي والقطب الإرادي في استعمال اللغة قد لح عليه "جاكسون" مراراً إلا أنه لم يلق العناية المستحقة. وافترض أنه بين هذين الشكليين النهائيين للغة (القطب الآلي أو المصدري والقطب التعبيري) توجد اتصالية بينهما تستدعي تحليلاً مفصلاً(٣). وهذا المبدأ لن يتلخص منه أي فرد، فحسب سياقات بعض السلوكات التي نستجيب لها أو لا جسدت أهمية تكوين نظرية في اللسانيات العصبية تفسر هذه الأحداث الدافعة إلى ذلك والأهداف المحددة لها. أمّا من الناحية العصبية التشريحية فقد أثبت أن اللغة الكامنة ذات الطبيعة الآلية والعاطفية كانت دليلا للأبحاث التي ترى أن هناك دوراً لا يقل أهمية لنصف الكرة المخية اليمنى في مثل هذه الفعاليات اللغوية كما أن الحفاظ على بعض عناصر اللغة في حالة الحبسة الكلية قد كان علامة لإسهام نصف الكرة المخي الأيمن في الفعاليات اللغوية(٤)، أما من وجهة نظر اللسانيات النفسية فإنها رأت أن حضور أفعال الانفصال الإرادي الآلي يتطلب تحقق سيرورة مميزة داخل أشكال الفهم اللفظي وإنتاجه، وتكون

(1) Dissociation automatico- volontaire .

(2) Paul cazayus -Op.Cit - P 134

(3) Ibid -P 137

(4) Rondal JA-& coll - Troubles du langage, diagnostic et rééducation - P 148.

مضطربة من ناحية الاختيار الذي تحدثه الإصابة المخية[١]، وعلى غرار هذا اقترح بعض الباحثين بعض المعالجات الجزئية للمعلومات الآلية وهذه النبذات تحتم وجود نظام معرفي مسؤول عن تحوّل المعلومات من مكان لأخر، إن هذه النظرة ـ في كل مرة ـ تفرض اختبارا أكثر تحديداً لهذه الأفعال، فبقدر ما لا تحتاج هذه إلى تعداد شروط التلفظ المناسب في البث أو الفهم الآلي فلا يستحيل بذلك وصف الآليات الخاصة بهذه السلوكات اللسانية المنجزة[٢].

إن ما تُوّقع من المعالجة الآلية كشف عن اصطناع سيرورات مختلفة تماما عما سبق والحفاظ على هذه السلوكات اللسانية بكل حذافيرها قد استغلت في المكتسبات المدرسية مثل تعليم الحروف الأبجدية ثم الأعداد وأيام الأسبوع. وفي حدود السنة يتم تعليم بعض الأشعار وكذلك تسمية الألعاب الطفولية... وغيرها، وقد أُعتني بتحليل عوامل الاكتساب مثل: الصفة التي توجد عموما قبل التدريبات، والعوامل المصحوبة بالآليات النغمية مثل الأشعار والابتهالات وطبيعة التدريب التي تأتي من عزيمة ومجهود ذاتي؛ فمما لا شك فيه أن هناك إجهاد تدريبي، بينما الحالات الأخرى من الشتائم والتعجبات والصفة العاطفية في بث الرسائل تكون سائدة[٣] وعملية التدريب تفترض من هذه النظرة تدعيما وتعزيزا للسلوكات من أجل تثبيت مختلف التغيرات في كل تجسيداتها الإدراكية والإرسالية وهي التي تختلف من طفل صغير له مؤهلاته الحيوية إلى الشيخ خامل. فإنتاج الرسائل وفهمها لا يتعلق فقط بالبحث في مركبات السلوكات اللسانية وإنما

(1) Ibid - P 148.

(2) Rondal JA-& coll-Op.Cit- P149

(3) Jérôme Kagon - Comprendre l'enfant ; comportement - motifs - pensé -Traduit de l'anglais par Harcert Brale- Dessert et mardaga-Brexelles-1977- P 176. Même aussi : Van Hout & Seron - l'aphasie de l'enfant et les bases biologiques du langage - P 105.

يتعلق غالبًا بتفاعلات الشخص مع محيطه الاجتماعي والفيزيائي وهذا المظهر لا يمكن أن نتجاهله في دراسة اضطرابات الحبسة، فيجب أن نعترف بأنه لو أحدث هدا الإثبات العام إجماعا، فإنه من الصعوبة تنفيذ الوسائط السامحة بالتعرف على التغيرات الوظائفية الداخلية للسلوك اللفظي وعموما على التصرفات الاتصالية وفي غياب إطار نظري ظاهر يأطر مختلف الظواهر الظاهرة عند تفاعل الشخص مع غيره فإننا نكتفي باختبار بعض الافتراضات المحدودة الآتية من معالجة عيادية قلّ ما تهتم عادة بالمصاب بالحبسة حتى ولو عانى من اضطرابات حادة في الفهم والتعبير وتتوصل إلى اتصال عادي فيبدي المصاب فهما لعناصر الوضع الاجتماعي ويتصرف بطريقة مناسبة في مختلف الظروف ويحافظ على وصلا بين فروعها فكيف يمكن لهذه التصرفات أن تصان في الحبسة؟

هناك مجموعة من التفسيرات المتنوعة التي يمكن أن تجيب على هذا التساؤل[1]، ونجملها في أن:

١- المعالجة اللسانية الجزئية تبقى محفوظة: فاضطرابات المصاب بالحبسة لا تلغي مجموع السلوك اللفظي حتى ولو كانت حادة في إدراكها السمعي، فالمصابين بالحبسة يستطيعون أن يميزوا لسانهم الأم من اللسان الأجنبي ويتحقق من الجمل دون دلاله و بالإضافة إلى هذا فأعمال اللسانيات العصبية حللت عدة أنماط من الإصابات الاختيارية، وأخيرا بعض الأبحاث التجريبية العقلية بينت أن الإجراءات المساعدة تتضح بفعالية في إعداد المقطع الأول أو إعداد جملة غير مكتملة في المدخل المعجمي أو التمهل في طريقة النطق وتزايد في إطناب الجمل في عملية الإفهام. إن التيسير السياقي اللساني لا يكفي دائما في شرح أداء المصابين بالحبسة فهناك من جهة أخرى نتائج متناقصة توصلت إليها الأبحاث

(1) Rondal JA-& coll - Troubles du langage, diagnostic et rééducation - P 149.

التجريبية العقلية الخاصة بمراقبة نتيجة هذا التغير(١).

٢- السيرورة اللسانية والتداولية منفصلتان: يمكن أن نفترض أنه في بعض الحالات، المصاب بالحبسة يحتفظ بمجال مباشر للانتباه التواصلي للمتكلم حتى ولو كان فك الشفرات للملفوظ خارج السياق مستحيل. وكان قد لاحظ كل من " Stachowiak" وجماعته سنة ١٩٧٧ أن المصابين بالحبسة يتوصلون إلى إزالة الغموض الحاصل في العبارات الاستعارية دون أن يؤدي السياق فيها إلى أي فهم حرفي و كذلك أعد كل من " Wilcox" وجماعته دليلا لصالح هذه الفرضية باستحضار جمل من النمط: "لو تفضلتم افتحوا الباب" وهي على شكل مطالب وليست بأسئلة؛ فأربعون جملة من هذا النوع استعملت من خلال سيناريوهات تلفزية قصيرة، فيها يتحكم الشخص بالوجه المناسب أو لا عند الطلب، فالمصابين بالحبسة يقومون بدقة الطابع الخاص برد الفعل أفضل من تركه في كل حالة إلى مقترحات أدائهم في اختبار الفهم اللفظي.

ويمكننا أن نتساءل عما هي الدلائل المستعملة من طرف المصابين بالحبسة داخل هذه الخبرة كأن تكون: رسالة لفظية أو تنغيم صوتي أو حركات هذا إذا كان يمثلها في سياق موقفي ... ؟. إنه من الصعب نظريا افتراض أن القيمة التداولية للحدث الكلامي لا تخضع بطريقة متساوية للسياق وفك التشفير الحرف(٢).

٣- الدلالات العاطفية والإيحائية تعد من طرف آليات خاصة: كثير من الدراسات بينت أن التواصلات العاطفية تكون معالجة أحسن عند المصابين بالحبسة من غيرهم الذين يعانون إصابات في نصف الكرة المخي الأيمن، هذه المعطيات قاربت مع عدد من الدراسات التجريبية المنجزة عند الشخص العادي وقارنت

(1) Voir par exemple, Waller et Darley : sur le rôle de prés - stimulations verbales dans le compréhension de phrases. De plais, révisé : Rondal JA & coll - Op-Cit - P 150.

(2) Ibid.- - P 152.

المعالجات المنفذة من طرف نصف الكرة المخي الأيمن والأيسر وحيث أن عدد الأدلة العاطفية قد يتضح بأساليب غير لفظية وقد تكون إيمائية وتنغيمية، ففرضية المعالجات الخاصة للمعلومات الإيحائية المتقبلة لا تكـــون أبداً مستقلة عما سيأتي(١).

٤ – المصابين بالحبسة قادرون على التواصل غير اللفظي: إن تحليل العلاقات الكائنة بين الاتصال غير اللفظي واللغة غير سهل، فالمصابون بالحبسة يتفهمون بقوة من غيرهم المعانين إصابات في نصف الكرة المخي الأيمن في تمييز الصوت أو في إدراك التنغيم العاطفي إلا أنه من الصعوبة التأكد من أن هذه الأداءات تكون مستقلة عن التغيرات اللسانية. ففيما يخص الإدراك العروضي العاطفي "الإيقاعات العاطفية"، فقد برهن " schlanger وجماعته" أن المصابين بالحبسة ذات الاضطرابات الحادة يرتكبون أخطاء أكثر من المصابين بالحبسة ذات الإصابة البسيطة، كما بين "Seron وجماعته" اعتماداً على أدبية الشخص العادي أن إعداد الدلالة العاطفية يخضع لعدة متغيرات متناقضة ففي هذه الدراسة، تُستحضر جمل تؤدي دلالات السعادة والفرح وأخرى تؤدي للحزن أو تستدعي الغضب في أسلوب نغمي "Le ton" مرتبط أو غير مرتبط بالتواصل(٢).

يرتكب المصابون بالحبسة في إدراكهم السمعي مقابلة بالأشخاص العاديين أخطاء أكثر عندما يكون التواصل والتنغيم الصوتي في تضارب، ويلحظ أكثر من ذلك في الحشو. كما أن التناقضات المتشابهة في العوامل اللفظية وغير اللفظية وُصفت في حديث خاص بالسلوكات التعبيرية الأخرى؛ فالمصابين بالحبسة يفككون الشفرات الإيمائية العاطفية أكثر دقة من غيرهم المصابين في دماغهم الأيمن، وأكثر اضطرابا من الأشخاص العاديين على الرغم من أن التجارب المقترحة

(1) Rondal JA-& coll - Troubles du langage, diagnostic et rééducation - P 153.

(2) Ibid - P 153.

احتاجت إلى عمليات مختلفة لإجرائها في شروط طبيعية وفي هذا المصابين بالحبسة لا يبدون أي اختلاف على غيرهم العاديين في مقدرة فحصهم للغموض الكائن في إيماءاتهم التعبيرية إلا في اختيار التدخلات الدقيقة والتفريق بين المداعبات الهزلية من غيرها غير العادية، ويمكن أن نصف عدة مآخذ لاضطراب المصابين بالحبسة في تأويلاته للإشارات العاطفية الصامتة "Les pantomimes" حتى ولو بدوا متحكمين بطريقة أكثر ملائمة للأنظمة الإيمائية من الثقافات اللفظية. فإنهم يُظهرون عجزا في سياقات تجريبية تتعلق بربط حركة بصورة الكائن وأكثر من ذلك في وصفه، كما يظهر هذا العجز في مقام قلما يتنبه إليه وهذا الاضطراب يكون مرتبط بصعوبات الفهم ألا أنه لا يظهر محدداً في نمط خاص من الحبسة، ففي المستوى التعبيري أشار عدد من الباحثين إلى توتر الترابط الكائن بين الاضطرابات الحبسية والحُراك الرمزي L'apraxie idéomotrice(١)، هذه العلاقة قلما يُستطاع تفسيرها لأن كثيرا من الشروحات المقبولة قد أقرت بهذا، ومن جهة أخرى فالقانون الوظائفي للإشارات المضطربة في حالة الحُراك الرمزي لا يكون مضبوط بوضوح وهكذا فعندما نلحظ الفعالية الإشارية الأبجدية أثناء المحادثة فإننا نسجل اضطرابا في السلوك غير اللفظي الموازي لهذا السلوك اللفظي المقترح من قبل الافتراضات المسلمة بوجود آليات مخية داخلية مشتركة لهذه التصرفات(٢). هذه الملاحظات تقترح أكثر من ذلك أن اضطرابات اللغة تتحمل تعديلا بالفعالية الإشارية أقل تعويضاً(٣) من كونها عاملا ثانويا للصعوبات التي تلقاها المتكلم في إنجاز الشفرة اللفظية.

(١) فقدان القدرة على إنتاج الحركة أو الإشارة التواصلية.

(٢) وهي الثدييات المتطورة والتي تضم الحيوانات الراقية مثل القردة وكذلك الإنسان.

(٣) أن هناك إشارات لا تكون لها قيمة تواصلية محددة إلا أنها تخدم المصاحب الحركي البسيط.

خاتمة

ما يمكن أن نستنتجه مما ذكر في الأبحاث العديدة القائمة على التواصل غير اللفظي عند المصابين بالحبسة الذي كان تمثيله صعب للغاية هو أن افتراضاتها العامة المبينة في العمه الرمزي (Asymbolie) واضطراب السلوك الجمعي والعجز الحركي واستقلال المعالجات اللفظية وغير اللفظية لم تلاق أجمعها التأكيد والإثبات، كما يمكننا أن نلاحظ أن العيب آتي من غياب قوالب نظرية تسمح بتفسير تكاملي لهذه الأفعال الملاحظة التي عالجناها مسبقا، ويبدو من هذا أن أبحاث العلوم العصبية والنفسية لم تكلف نفسها البحث في المفاهيم اللسانية أي دراسة أفعال الكلام كما أن اللسانيات النفسية لم تهتم بالقدر الكافي بجانب دراسة التطور العقلي لاكتساب اللغة أثناء التفاعلات الاجتماعية في هذه الأفعال في مجمل مظاهره، كما كان علم الأخلاق والعادات (الإيثيولوجيا) المحلل للاتصالات الجمعية عند الحيوانات وبخاصة عند الرئيسيات (les Primates) . إنه يجب أن تتعاون مباحث هذه العلوم وغيرها من أجل إيجاد تفسير للظواهر التداولية عند المصابين بالحبسة وكذلك إيجاد قانون للتواصل غير اللفظي .